صراع الحرية

في

عصر المفيد

٣٤٩ ـ ٤٠٩ هـ.ق

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

مكتبة نرجس PDF
www.narjes-library.blogspot.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة

1430هـ. - 2009م.

المركز الإسلامي للدراسات

صراع الحرية في عصر المفيد

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

بسمه تعالى، وله الحمد، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

إلى روح الرجل الفذ.

ورائد الحرية، ورمز الصدق والصراحة. ومثال الشجاعة والطهر.

العالم العامل، والمجاهد الصابر.

إلى روح الشيخ المفيد «رحمه الله».

نعم... إلى روحه الطاهرة.

أهدي ثواب هذا الجهد المتواضع، طلباً منّي لدرجات القرب، وحبّاص برضى الربّ الكبير المتعال.

جعفر

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.. واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد.. فإنّني لا أريد هنا كتابة مقدّمة لهذا البحث، وما أريده فقط هو التذكير بالنقاط التالية:

إنّ هذا البحث، لم يكن المقصود منه استقصاء النصوص والأحداث، وعرضها بصورة تفصيلية. وإنّما كان يرمي إلى تسليط الضوء على قضايا قلّما حظيت باهتمام الكتّاب والباحثين، وتقديم نماذج محدودة منها، في محاولة لجلب انتباه رواد العلم، ورجال الفكر، المخلصين لدينهم، ولأمّتهم، وللحقيقة مهما حاولت الأيدي تشويهها، والعبث بها، وحتى طمس معالمها.

قد يكون الموضوع الذي طرحناه هنا محرجاً لبعض الناس، في نفس الوقت الذي تكون فيه الحقائق التي أوردناها فيه جارحة ومثيرة لعواطف ومشاعر بعض آخر.

ولكن ليعلم كلا الفريقين: أنّ هدفنا لم يكن أبداً هو جرح عاطفة

هؤلاء، ولا إحراج أولئِك، فإنّ الحق أحقّ أن يتّبع، وأولى أن يكون هو الدافع لمعاناة بحوث كهذه، لا تجلب لصاحبها إلاّ اللوم من فريق، والتقريع الذي يصل إلى حدّ التهمة من فريق آخر.

إنّ هذا البحث قد كتب بمناسبة مرور ألف سنة على وفاة العالم الفذ، عملاق الفكر، ورائد الإيمان في عصره الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، الملقب بالشيخ «المفيد». فكان من الطبيعي أن يقتصر البحث فيه على خصوص عصر هذا الرجل، وهو النصف الثاني من القرن الرابع، إلى بدايات القرن الخامس الهجري مع حصر الموضوع في ما يرتبط بمعاناته الفكرية «رحمه الله».

وهو يريد أن يجيب عن سؤال: ما هو السر في صراحة الشيخ المفيد، في طرحه للقضايا الحساسة، ووضوحه في تقديمه لآرائه حولها.

إنّ هذا البحث ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: يتحدّث عن معاناة فريق من الناس. أراد أن يمارس حقه في حرية الفكر، والاعتقاد، والتعبير، في حدود الضوابط الشرعية، والإنسانية؛ فثارة ثائرة فريق آخر، وعمل كلّ شيء في سبيل سلبه ذلك الحق، وحتى سلبه حقّ الوجود والحياة من الأساس.

الثاني: أشير فيه إلى نهجين مختلفين من التعامل مع قضايا الفكر، والاعتقاد، بهدف رؤية أنّ الشيخ المفيد كان أي النهجين يلتزم، وفي أي اتجّاه كان يتحرّك في حياته العلمية والفكرية.

الثالث: تقديم نماذج يسيرة ممّا تفاوت فيه الموقف واختلف، انطلاقاً من عصبيات وأهواء غير متوازنة، حيث يظهر بوضوح: أنّ ثمة فريقاً لا يعتمد الإنصاف والموضوعية، في حركته وفي مواقفه، وفي تعامله مع القضايا بصورة عامة.

والله نسأل أن يلهمنا صواب القول، وحسن العمل، وأن يجعل عواقب أمورنا خيراً.

وهو الموفّق والمسدّد، والمستعان.

ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

حرّر في قم المشرفة

14 / ج2 / 1413هـ.ق

جعفر مرتضى العاملي

الفصل الأوّل:

لمحات عن المأساة المرّة

سؤال يحتاج إلى جواب:

إنّ من يراجع مؤلفات وكتابات الشيخ المفيد، قد يتبادر إلى ذهنه السؤال التالي:

لماذا يطرح هذا الرجل أموراً حساسة، ويعالجها بصراحة ووضوح، وذلك في أحرج الأوقات وأصعبها ولا يأخذ في اعتباره أنّ ذلك قد يجرح عاطفة هذا، ويسيء إلى مشاعر ذاك؟!

ألم يكن الأولى والأجدر أن ينأى بنفسه عن معالجة موضوعات كهذه؟!

وإذا كان قد عالجها، ألم يكن بالإمكان أن يمر عليها بصورة عابرة على طريقة الإشارة والتلميح ودون الجهر والتصريح؟!

هذا هو السؤال الذي سوف نحاول الإجابة عليه هنا، فإلى ما يلي من مطالب:

قضايا العقيدة والحرية:

إنّه مهما توفرت النصوص في مصادرها، وكثرت أسباب المعرفة لأحوال، ومزايا وأبعاد أيّة شخصية، فإنّ ذلك لا يغني عن التعرف على المحيط الذي عاشت فيه تلك الشخصية، وعلى الأحداث التي واجهتها، والقضايا التي تلقي بظلالها على الأجواء التي كانت

تتنفس، وتعيش، وتتحرك فيها. ولاسيّما إذا كانت هذه القضايا هي قضايا الفكر والعقيدة والحرية ومن النوع الذي يلامس روح ووجدان تلك الشخصية، ويدخل في التكوين الفكري، والعقيدي، والعاطفي لها.

خصوصاً إذا كانت هذه الشخصية في القمة من حيث الوعي، والشعور والإحساس، ومن حيث تحمل مسؤولية التفاعل مع تلك القضايا، وتسجيل الموقف الواعي والمسؤول تجاهها.

لنقترب قليلاً:

وإذا كنّا نريد أن نعرف شيئاً عن شخصية الشيخ المفيد، فلابدّ لنا أوّلاً من ان نسلط الضوء على بعض من ذلك، وهو خصوص الجانب الذي يبرز المعاناة الكبيرة، والمخاض العسير، الذي مرت به آنئذٍ قضية حرية التعبير عن الرأي، والعقيدة بشكل خاص. وما نال دعاة الحرية وروادها من بؤس واضطهاد. وما تعرضوا له من بلايا ورزايا في هذا السبيل.

وعلى الأخص ما يرتبط بالناحية التعبيرية عن الارتباط العاطفي بقضايا أهل البيت «عليهم السلام» لاسيّما قضية عاشوراء، وعيد الغدير.

من أين نبدأ؟! وأين نختم؟!:

ولكي يكون عملنا أكثر تركيزاً وتحديداً، فقد أوردنا أن نقتطع فترة زمنية محددة عايشها الشيخ المفيد «رضوان الله تعالى عليه»

بوعي ويقظة ومسؤولية، فلا نتجاوزها. بل نعرض للأحداث التي جرت خلالها فقط. مع توخي الإيجاز والإقتصار على النصوص قدر الإمكان، إلاّ من بعض التوضيح، والتلميح لبعض ما تستنبطه تلك النصوص من إشارات ودلالات، حسبما يسمح لنا به المجال.

وإذا كان الشيخ المفيد قد عاش ما بين سنتي 338 و 413هـ. فقد رأينا: أن نختار من هذه الفترة مدة ستين سنة، وهي ما بين سنة 349هـ وحتى سنة 408هـ. وذلك لسببين:

أحدهما: أنّنا نكون بذلك قد استوعبنا القسم الأعظم من حياة الشيخ المفيد الواعية والمسؤولة، والمتفاعلة مع الأحداث.

والآخر: أنّنا نكون قد عايشنا قضية عاشوراء، وعيد الغدير، من حين بدء الإعلان بهما في عاصمة الخلافة بغداد، وهو سنة 352هـ.

ولسوف نجد: أنّها فترة زاخرة بالأحداث، حافلة بالمحن، ولاسيّما بالنسبة إلى الشيعة في الكرخ وباب الطاق في بغداد، حيث كانت هذه المواقع مسرحاً لكثير من الرزايا والبلايا، وقد تعرضت للحرق والنهب، عشرات المرات، فضلاً عن قتل وحرق الرجال والنساء والصبيان. لا لشيء إلاّ لانّ أهلها يريدون أن يعبروا عن مشاعرهم الصادقة، وعواطفهم النبيلة تجاه مأساة كربلاء، في عاشوراء كلّ عام، ثمّ التعبير عن حبهم لأهل بيت نبيّهم، ووفائهم بعهد الولاية في يوم الغدير المعروف.

الضحايا الأبرياء:

ولسوف نكتفي هنا بذكر ثلاثين مورداً من هذه الأحداث التي حصلت في خلال السنين المشار إليها.

مع التذكير بأنّ جميع النصوص التي نوردها هنا إنّما ننقلها عن مؤرخين ليس فقط لا يتعاطفون مع الشيعة والرافضة! ـ كما يحلو للبعض أن يقول ـ وإنّما يمقتونهم ويبغضونهم، ولا يدعون فرصة تفوتهم دون التنديد بهم، وتوجيه التهم الباطلة إليهم، والتصريح بكلّ ما يدلّ على الكراهية، وسوء الرأي، في تحامل ظاهر، وتجنّ ظالم، وأسلوب مقيت وبغيض.

ولسوف نجد في هذه النماذج الثلاثين: أنّهم قد صرحوا أو ألمحوا في ثلاثة وعشرين مورداً منها إلى أنّ الشيعة كانوا هم الضحية، وكان الآخرون هم الباغون والمعتدون عليهم، والمبادرون إلى مهاجمتهم، ومواجهتهم بالقبيح، وبالقتال الذي يهلك الحرث والنسل، بهدف منعهم من التعبير عن مشاعرهم الصادقة تجاه الحسين الشهيد في عاشوراء، وتجاه ولاية عليّ وأهل البيت «عليهم السلام» في مناسبة الغدير.

النماذج اليسيرة:

وها نحن نورد هنا الموارد الثلاثين مرتّبة حسب السنين، فنقول:

1 ـ في سنة 349هـ «جرت واقعة هائلة ببغداد بين السنّية والشيعيّة، وتعطلت الصلوات في الجوامع سوى جامع براثا، الذي يأوي إلى الرافضة.

وكان جماعة بني هاشم قد أثاروا الفتنة؛ فاعتقلهم معز الدولة ابن بويه؛ فسكنت الفتنة». ثمّ أطلقوا من الغد (1).

فالمثيرون للفتنة إذن هم بني هاشم.

ومن المعلوم: أنّ بني هاشم الذين يقصدهم المؤرخون هنا هم بنو العباس. وهم حاقدون جداً على الشيعة ويكرهونهم، ويمقتونهم بصورة عميقة (2).

2 ـ سنة 353هـ. «عمل ببغداد يوم عاشوراء كعام أوّل إلى الضحى؛ فوقعت فتنة عظيمة بين السنّة والرافضة، وجرح جماعة، ونهب الناس» (3).

وفي هذا النص إلماح إلى أنّ عاشوراء قد سارت إلى الضحى بصورة طبيعية، وعادية، ثمّ حصلت الفتنة.

ومن الواضح: أنّه ليس من مصلحة الشيعة تخريب المناسبة التي

---

(1) النجوز الزاهرة ج3 ص323 وراجع: الكامل في التاريخ ج8 ص533 ودول الإسلام ص193 وشذرات الذهب ص379 ومرآة الجنان ج2 ص342 و 343 والمنتظم ج6 ص394 و 395.

(2) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج1 ص133 عن الكامل في التاريخ ج9 ص146.

(3) تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث 350 ـ 380) ص13 وفي هامشه عن مصادر كثيرة والنجوم الزاهرة ج3 ص336 وراجع: البداية والنهاية ج1 ص253 والكامل في التاريخ ج8 ص558 والمنتظم ج7 ص19.

يقيمونها، الأمر الذي يقرب أنّ الآخرين قد تحرشوا بهم، وأثاروا الفتنة معهم.

كما أنّ قول ابن تغري بردى الآتي يشير إلى أنّه قد كان من عادة السنّية أن يتحركوا للشيعة في مناسباتهم، لكنّهم في عام 354هـ. لم يفعلوا ذلك خوفاً؛ فاقرأ النص التالي.

3 ـ سنة 354هـ «فيها عمل في يوم عاشوراء المأتم ببغداد، كالسنة الماضية. ولم يتحرك لهم السنيّة، خوفاً من معز الدولة» (1).

هكذا قال ابن تغري بردى. ولكن ابن كثير الحنبلي يصرح بأنّ الفتن قد حصلت ببغداد فيما بين السنّة (الحنابلة) والشيعة في هذه السنة أيضاً، فهو يقول:

«في عاشر المحرم منها عملت الشيعة مأتمهم وبدعتهم على ما تقدم قبل، وغلقت الأسواق وعلّقت المسوح، وخرجت النساء سافرات، ناشرات شعورهنّ، ينحن ويلطمن وجوههنّ في الأسواق والأزقة على الحسين.

وهذا تكلّف لا حاجة إليه في الإسلام، ولو كان هذا أمراً محموداً، لفعله خير القرون، وصدر هذه الأمّة، وخيرتها، وهم أولى به **(لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ)** (2) وأهل السنّة يقتدون ولا يبتدعون.

---

(1) النجوم الزاهرة ج3 ص339.

(2) الآية 11 من سورة الأحقاف.

ثمّ تسلّطت أهل السنّة على الروافض، فكبسوا مسجدهم، مسجد براثا، الذي هو عش الروافض، وقتلوا بعض من كان فيه من القومة» (1).

فالسنّة إذن قد كبسوا مسجد الشيعة، على حين غفلة، وقتلوا بعض من كان فيه من القومة.

ثمّ إنّنا لا نريد هنا أن نناقش ابن كثير في صحّة ما استدل به لعدم جواز إقامة مأتم عاشوراء ولكنّنا نذكر القارئ هنا بكتاب ألفه العلامة الأميني، حول مأتم سيّد الشهداء، ومجالس الحزن التي كانت تقام من قبل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم نفسه. والكتاب بعنوان: «سيرتنا وسنّتنا». وقد جمع فيه مؤلفه نصوصاً كثيرة متواترة عن عشرات المصادر الموثوقة.

ثمّ نذكّر القارئ أيضاً: بأنّ ابن كثير نفسه سيصرح بابتداع يوم الغار، ويوم مصعب من قبل أهل السنّة أنفسهم كما سنرى.

4 ـ سنة 355هـ. ولما حارب الخراسانية ركن الدولة «دخل البلد جماعة منهم، يكبّرون كأنّهم يقاتلون الكفّار، ويقتلون كلّ من رأوه بزي الديلم.

ويقولون: هؤلاء الرافضة» (2).

---

(1) البداية والنهاية ج11 ص254.

(2) الكامل في التاريخ ج8 ص571.

إذن، فهم يرون أنّ إراقة دم الروافض حلال، وإنّ مجرد نسبة الرفض إلى أناس يبرّر قتلهم واستئصالهم!!.

5 - سنة 361هـ. وحينما علم الناس بغزو الروم للجزيرة ونصيبين، وديار بكر، تجهزوا لغزوهم. «ولمّا تجهزت العامة للغزاة وقعت بينهم فتنة شديدة بين الروافض وأهل السنّة. وأحرق أهل السنّة دور الروافض في الكرخ، وقالوا: الشرّ كلّه منكم» (1).

وهذا النصّ ظاهر الدلالة على أنّ أهل السنة هم الذين اعتدوا على الشيعة، واتهموهم بأنّهم هم مصدر الشرّ.

ولا ندري كيف كان الشرّ كلّه من الروافض، وما هو ذنبهم إذا غزا الروم الجزيرة، أو غيرها؟!.

6 - سنة 362هـ. «وفيها لم يعمل الرافضة المأتم ببغداد، بسبب ما جرى على المسلمين من الروم. وكان عزّ الدولة بختيار بن بويه بواسط، والحاجب سبكتكين ببغداد، وكان سبكتكين المذكور يميل إلى السنّة؛ فمنعهم من ذلك» (2). فسبكتكين إذن يستعمل شوكته ونفوذه لمنع الناس من ممارسة حريتهم في التعبير عن مشاعرهم، ومن إقامة شعائرهم.

(1) البداية والنهاية ج11 ص271. وراجع: الكامل في التاريخ ج8 ص619.

(2) النجوم الزاهرة ج4 ص65.

جريمة مرعبة:

7 ـ سنة 362هـ. «فيها أحرق الكرخ ببغداد. وكان سببه: أنّ صاحب المعونة ضرب رجلاً من العامّة فمات؛ فثارت عليه العامة، وجماعة من الأتراك فهرب منهم، فدخل داراً، فأخرجوه مسجوناً (لعلّ الظاهر: مسحوباً) فقتلوه، وحرقوه؛ فركب الوزير أبو الفضل الشيرازي ـ وكان شديد التعصّب للسنّة ـ وبعث حاجبه إلى أهل الكرخ؛ فألقى في دورهم النار، فاحترقت طائفة كثيرة من الدور والأموال من ذلك ثلاث مائة دكان، وثلاثة وثلاثون مسجداً، وسبعة عشر ألف إنسان» وعند ابن خلدون. عشرون ألف إنسان (1).

وحسب نصّ ابن الجوزي: «في شهر رمضان قتل صاحب المعونة في الكرخ، فبعث أبو الفضل الشيرازي ـ وكان قد أقامه معز الدولة مقام الوزير ـ من طرح النار من النخاسين إلى السماكين؛ فاحترقت أموال عظيمة، وجماعة [كثيرة] من الرجال والنساء والصبيان في الدور والحمامات؛ فأحصي ما احترق: سبعة عشر ألف، وثلاثة مائة دكان. وثلاث مائة وعشرين داراً، أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألف دينار، ودخل في الجملة ثلاثة وثلاثون

---

(1) البداية والنهاية ج11 ص273 وراجع: العبر وديوان المتبدأ والخبر ج4 ص446 ـ 447 وشذرات الذهب ج3 ص39 والكامل في التاريخ ج8 ص628 وراجع: ص629 وراجع: تجارب الأمم ج2 ص305 ـ 306 ـ 308 ـ 309 وتكملة تأريخ الطبري ج1 ص211 ـ 212.

مسجداً» (1).

وحين اعترض أبو أحمد الموسوي، نقيب الطالبين على الوزير المذكور، وجرت بينهما مناظرة فيما جرى على الشيعة، كانت النتيجة أن «صرفه الوزير عن النقابة» (2).

ونقول:

لا نريد أن نناقش في أن يكون صاحب المعونة قد أصاب في قتله لذلك الرجل أو أخطأ. بل نريد أن نفرض سلفاً أنّه مصيب في ما فعل!!

ولا نريد أيضاً: أن نبرئ العامة بقتلهم ذلك القاتل، بل ـ سلّمنا جدلاً ـ أنّهم مخطئون ومعتدون، بل ما نريده هو فقط أن ننظر إلى هذا الذي جعل نفسه أميناً على نفوس الناس وأموالهم وأعراضهم، وهو حضرة الوزير الذي لم يطلب المذنبين ليعاقبهم، ولا حقق في الامر ليعرف المحقّ من المبطل، بل هو قد اخذ البرئ بالمسيء، فقتل سبعة عشر ألف، أو عشرين ألف إنسان حرقاً بالنار؟!

ولا ندري كيف جاز له ذلك؟! كما لا ندري كيف جاز له أن

---

(1) المنتتظم ج7 ص60 وراجع: ص61 وراجع: تاريخ الإسلام الذهبي (حوادث سنة 350 - 380) ص248 - 250 وراجع: تاريخ الخلفاء ص402.

(2) تجارب الأمم ج2 ص309 وتكملة تاريخ الطبري ج1 ص212.

يحرق المساجد، والدور والدكاكين والاموال! ثمّ هو يجازي من يعترض على فعله هذا بصرفه عمّا كان يتولاّه من أمر المسلمين!

وإذا كان قد فعل ذلك انطلاقاً من تعصبه الشديد للسنّة، فهل يصلح من يفعل هذه الأفاعيل من منطلق التعصّب لتوليّ أمور المسلمين؟! ولأن يكون أميناً على دمائهم، وأموالهم، وأعراضهم؟!

وإذا كان هذا هو فعل الوزير بهؤلاء الناس الابرياء؛ فإلى من يلتجيء من يتعرض منهم للنكبات والمصائب، ويواجه الظلم والبغي والتعدّي؟! لا ندري، ولعلّ الوزير فقط هو الذي يدري.

شريط سينمائي عن حرب الجمل:

8 ـ سنة 363هـ. قال ابن الأثير ـ وأشار إلى ذلك ابن خلدون أيضاً ـ: «وكان أبو تغلب قد قارب بغداد فثار العيارون بها، وأهل الشرّ بالجانب الغربي، ووقعت فتنة عظيمة بين السنّة والشيعة. وحمل أهل سوق الطعام. وهم من السنّة امرأة على الجمل، وسمّوها عائشة، وسمّى بعضهم نفسه طلحة، وبعضهم الزبير، وقاتلوا الفرقة الأخرى، وجعلوا يقولون: نقاتل أصحاب علي بن أبي طالب، وأمثال هذا من الشرّ.

وكان الجانب الشرقي آمناً، والجانب الغربي مفتوناً إلخ..» (1).

وقد تكرّرت هذه التمثيلية المهزلة والمخجلة مرة أخرى في سنة

(1) الكامل لابن الأثير ج8 ص232 وراجع: العبر ج4 ص447.

375هـ وقد عملت في نفس يوم عاشوراء على ما يظهر.

وقد صرّح ابن خلدون هنا: بأنّهم قد قصدوا من تمثيل هذه القضية في هذه السنة إغاظة الوزير (1).

ولا ندري كيف رضي هؤلاء لأنفسهم أن يمثلوا دور الفئة الباغية على إمامهم، وأن يضربوا الأمثال لوزيرهم بمعركة، كان الذين يتمثلون بهم قد خسروا وانهزموا فيها شرّ هزيمة، كما هو معلوم.

ومهما يكن من أمر، فسوف نتكلم حول هذه الحادثة فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

9 ـ سنة 363هـ. ثمّ كانت حادثة أخرى في أواخر هذه السنة أيضاً، ليست هي الأخرى بافضل من سابقتها. قال ابن الأثير:

«ثارت العامة من أهل السنّة ينصرون سبكتكين؛ لأنه كان يتسنّن، فخلع عليهم، وجعل لهم العرفاء، والقواد، فثاروا بالشيعة، وحاربوهم، وسفكت بينهم الدماء، وأحرقت الكرخ حريقاً ثانياً، وظهرت السنة عليهم» (2).

وقال ابن كثير: «وقويت السنّة على الشيعة، وأحرقوا الكرخ،

---

(1) العبر وديوان المتبدأ والخبر ج4 ص447.

(2) الكامل في التاريخ ج8 ص637 وراجع: المنتظم ج7 ص68 وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة 380 ـ 400هـ) ص287 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج4 ص448.

لأنّه محل الرافضة ثانياً»(1).

ونقول:

أولاً: إن أوّل ما يلفت نظرنا هنا: هو أنّ نصرة أهل السنّة لسبكتكين تعود إلى أنّه كان يستنّن. وليس لأجل عدله واستقامته، وإنصافه.

ثانياً: ثمّ نجد هذا النصّ يصرّح: بأنّ أهل السنّة لما وجدوا من سبكتكين هذا الاهتمام بهم، ووجدوا في أنفسهم القوّة، وحصلوا على المناسب، لم يشكروا الله، ولم يهتموا بإشاعة العدل والأمن، بل عمدوا إلى البغي، والتعدّي، فثاروا بالشيعة، وحاربوهم، وسفكوا الدماء. وأحرقوا عليهم بيوتهم وأموالهم بالكرخ.

كلّ ذلك بلا مبرر ظاهر، ولا حجة بيّنة.

والذي يثير دهشتنا هنا هو تعليل ابن كثير لإحراق الكرخ بقوله: «لأنّه محل الرافضة» فهل كونه محلاً لهم يوجب إحراقه ولا تبقى له ولهم حرمة؟!

10 - سنة 364هـ. «حصب ببغداد من العيارين قواد منعوا الماء أن يصل إلى الكرخ، وكان فيهم قائد معروف بأسود الزبد إلخ..»(2).

---

(1) البداية والنهاية ج11 ص275.

(2) تكملة تاريخ الطبري ج1 ص217 وفي هامشه عن الإمتاع والمؤانسة ج3 ص160.

والكرخ كما هو معلوم مجتمع الشيعة الإمامية في ذلك العصر، وليس فيه سنّي البتة (1) وليس منع الماء من الأمور التي يرضاها العقل ولا الوجدان، ولا الضمير، حتى بالنسبة إلى الكفرة والمشركين، فضلاً عن المسلمين والمؤمنين، لاسيّما إذا كان هناك أطفال رضّع ونساء وصبيان وشيوخ. ولم يكن ليحل قتال المسلم للمسلم، فضلاً عن أن يمنع عنه الماء، وقد سبق هذا ما جرى في صفّين، من منع الماء عن أصحاب علي «عليه السلام»، ولكن علياً لمّا ملك الماء لم يستحل أن يمنعهم منه.

11 - سنة 364هـ. في هذه السنة أيضاً: «ظفر ابن بقية المعروف بابن أبي عقيل صاحب الشرطة، الذي كان من قبل سبكتكين. وكان من أهل السنّة، وقد قتل طائفة من أهل الشيعة، فأمر بقتله. فقتل في وسط الكرخ بين العامة، فزادت ضراوة العيارين، وعاد الفساد، وخاف التجار على أنفسهم وأموالهم» (2).

«فصاحب الشرطة المؤتمن على دماء الناس، وأموالهم

---

(1) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج1 ص133 وفي هامشه عن ياقوت ج4 ص255.

(2) راجع: صفين للمنقري ص161 حتى ص193 - 86 وراجع: الفتوح لابن أعثم ج3 ص1 و 2 و 23 والأخبار الطوال ص168 وشرح النهج للمعتزلي ج1 ص24 وراجع: الكامل في التاريخ ج3 ص284 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص571 - 572.

وأعراضهم هو الذي يتولى قتل الناس، وليس واحداً واثنين، بل هو يقتل طائفة منهم، لا لشيء إلا لأنّهم يخالفونه في المذهب، حتى إذا لاقى هذا المجرم جزاءه فإنّ القلاقل تعود إلى الظهور، ويعود خوف الناس على أنفسهم وأموالهم» (1).

12 ـ سنة 367هـ. «قيل لعضد الدولة: إنّ أهل بغداد قد قلّوا كثيراً، بسبب الطاعون، وما وقع بينهم من الفتن، بسبب الرفض والسنّة. وأصابهم حريق وغريق.

فقال: إنّما يهيّج بين الناس هؤلاء القصاص والوعاظ، ثم رسم أنّ احداً لا يقص ولا يعظ في سائر بغداد، ولا يسأل سائل باسم أحد من الصحابة» (2).

ونقول:

إنّ من الواضح: أنّ القصاصين ما كانوا ـ في الأكثر ـ من الرافضة، كما أنّ السؤال باسم فاطمة وعلي «عليهما السلام» لم يكن ليهيّج أحداً، ولا ليثير عصبية أي من الناس. وذلك لأنّ الجميع متفقون على لزوم تبجيل أهل البيت ومحبّتهم واحترامهم.

---

(1) تجارب الأمم ج2 ص355.

(2) البداية والنهاية ج11 ص289 وراجع: المنتظم ج7 ص88 وراجع: سير أعلام النبلاء ج16 ص509 وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة 350 ـ 380هـ) ص153.

هذا من وجهة نظر عقيدية على الأقل.

فيظهر: أنّه قد كان ثمة أشخاص يسألون الناس باسم بعض الصحابة الذين حاربوا علياً «(عليه السلام)»، مثل معاوية، وطلحة، والزبير. بهدف إثارة بعض الشيعة، والتسبب في حدود تشنجات وصدامات لا مبرر لها إلاّ حبّ إثارة الفتنة، وإلاّ مرض القلب، وانعدام الورع والتقوى.

وقد كانت النتيجة هي: أن يقل أهل بغداد كثيراً بسبب أمثال هذه الفتن.

ولأسباب أخرى حسبما هو مذكور في النص المشار إليه.

التمثيلية المهزلة من جديد!!:

13 ـ سنة 375هـ. «فيها في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنّة والرافضة، وكلا الفريقين قليل عقل أو عديمه، بعيد عن السداد. وذلك أنّ جماعة من أهل السنّة أركبوا امرأة وسمّوها عائشة، وتسمّى بعضهم الطلحة، وبعضهم الزبير. وقالوا: نقاتل أصحاب علي.

فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير»[1].

ونقول:

أنظر إلى هذا الأسلوب في عرض هذا الحدث، وإلى قواذع القول

(1) البداية والنهاية ج11 ص275 وراجع: الكامل في التاريخ ج8 ص632.

التي يوجهها هذا المؤرخ للروافض على حد تعبيره، لا لشيء إلاّ لأنّهم يخالفونه في المذهب، وفي الاجتهاد.

أولاً: ثم إنّنا نستغرب عليه تسويته بين الفريقين في حملته التهجينية؛ إذ يوجد فرق كبير بين من يقوم بعمل يراه مشروعاً، ومقبولاً من وجهة نظر شرعية، وإنسانية، ويراه حقاً لا مجال للمساس به من الناحية العقيدية، والفكرية، وقد أيّد مشروعيته هذه بكثير من الأدلة والبراهين التي رآها كافية لتبريره، في مجال الحِجاج والاحتجاج.

وبين من يرى نفسه مبتدعاً متجنياً، ينطلق في ممارسته من موقع الحقد والضغينة والتعصب، بهدف جرح عواطف الآخرين، والاعتداء على حرياتهم وكراماتهم.

ثانياً: ثمّ إنّنا نود أن نذكر ابن كثير، الذي يقول هذا القول، بكلمته التي أسلفناها فيما تقدم من أنّ أصحابه يقتدون، ولا يبتدعون، فها هو هنا يعترف بالابتداع، وعدم الاتباع، وسيأتي بعض ما يفيد في هذا المجال عن قريب أيضاً.

ثالثاً: وأخيراً فلست أدرى إن كانوا قد مثلوا ما جرى في الحوأب أيضاً، من نبح الكلاب وشهادة الزور وكذلك سائر ما جرى في واقعة الجمل من أمور، وأحداث؟!.

14 ـ سنة 382هـ. «في عاشر محرمها أمر الوزير أبو الحسن علي بن محمد الكوكبي، ويعرف بابن المعلم ـ وكان قد استحوذ على

السلطان ـ أهل الكرخ، وباب الطاق من الرافضة، بأن لا يفعلوا شيئاً من تلك البدع»(1).

فهو يمارس الضغوط على الرافضة من موقعه السلطوي، فيمنعهم من إقامة شعائرهم، ومن التعبير عن مشاعرهم تجاه أهل بيت نبيّهم «عليهم السلام».

الإتباع أو الإبتداع الغبي:

15 ـ سنة 389هـ. «وفيها أرادت الشيعة أن يصنعوا ما كانوا يصنعونه من الزينة يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، فيما يزعمونه، فقاتلهم جهلة آخرون من المنتسبين إلى السنّة؛ فادعوا: أنّ في مثل هذا اليوم حصر النبي «صلى الله عليه وآله» وأبو بكر في الغار، فامتنعوا من ذلك»(2).

«واستمر أهل السنّة يعملون هذا العيد المزعوم دهراً طويلاً. وقد

(1) البداية والنهاية ج11 ص311 وشذرات الذهب ج3 ص102 والمنتظم ج7 ص168 وراجع: الكامل في التاريخ ج9 ص94 ومرآة الجنان ج2 ص415 ودول الإسلام ص207 والنجوم الزاهرة ج4 ص162 وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة 380 ـ 40هـ) ص12.

(2) راجع: البداية والنهاية ج11 ص325 وراجع: المنتظم ج7 ص206 وشذرات الذهب ج3 ص130 والخطط المقريزية ج1 ص389 والكامل في التاريخ ج9 ص155 وذيل تجارب الأمم لأبي شجاع ج3 ص339 ـ 340 ونهاية الإرب ج1 ص185.

أظهروا فيه الزينة، ونصب القباب، وإيقاد النيران إلخ..» (1).

ونقول:

لا ندري لماذا قاتل جهلة السنّة الشيعة الذين يريدون إقامة شعائرهم؟! ولماذا لا يردعهم عقلاؤهم عن أعمال كهذه، فيما تعدّ وظلم وبغي على الآخرين؟!

والأغرب من ذلك أن يبتدعوا عيداً جديداً لا يعترف لهم به علماؤهم، وهم من الحنابلة المتشدّدين في أمور كهذه، ويرونها بدعة، وخروجاً على حدود الشرع والدين!!.

ثمّ نجد هذا العيد يستمر إلى عشرات السنين، دونما مانع أو رادع!!.

والذي يلفت النظر هو أنّ المؤرّخين الذين هم على مذهب هؤلاء، ينسبون ذلك إلى العوام، ويتحاشون التعبير بكلمة (عيد) قدر الإمكان؛ فيقولون مثلاً: عمل عوام السنّة يوم سرور (2) وكأنّ الأسماء تغيّر الواقع وتلغيه!!

ولكن الذي يضحك الثكلى هو التاريخ الذي ألزم هؤلاء أنفسهم به، وهو أن تكون هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحصره

---

(1) ستأتي المصادر الدالة على استمرارهم على هذا العمل في الحاشية التي بعد التالية.

(2) راجع: المصادر المتقدمة.

بالغار، في ذي الحجّة (في السادس والعشرين منه!!).

فإن الأمة بأسرها مجمعة على أنّ الهجرة قد كانت في شهر ربيع الأوّل، بلاشك ولا ريب في ذلك.

فكيف استمروا على ذلك عشرات السنين، ولا يتنبّه علماؤهم إلى خطأ ذلك وفساده؟!

وإن كانوا قد تنّبهوا إليه فلماذا سكتوا على ذلك، ولم يردعوهم خوف الفضيحة والعار؟!

مأتم غير واقعي أيضاً:

16 - سنة 389هـ. «ولما كانت الشيعة يصنعون يوم عاشوراء مأتماً، يظهرون فيه الحزن على الحسين بن علي، قابلتهم طائفة أخرى من جهلة السنّة، فادّعوا أنّ في اليوم الثاني (1) عشر من المحرم قتل مصعب بن الزبير؛ فعملوا له مأتماً، كما تعمل الشيعة للحسين، وزاروا قبره، كما يزار قبر الحسين، وهذا من باب مقابلة البدعة ببدعة مثلها.

ولا يرفع البدعة إلا «السنّة الصحيحة» ودامت السنّة على هذا الشعار القبيح مدة سنين (2).

---

(1) الصحيح: الثامن. كما يعلم من سائر المصادر.

(2) راجع: البداية والنهاية ج11 ص325 - 326 وشذرات الذهب ج3 - ض130 والمنتظم ج7 ص206 والكامل في التاريخ ج9 ص155 وتاريخ

ونقول:

إنّنا نسجل هنا تعجبنا واستغرابنا؛ لأن يرضى إخواننا أهل السنّة بأن يكون مصعب بن الزبير السفّاك للدماء (1)، بديلاً عن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسيد شباب أهل الجنة «صلوات الله وسلامه عليه»؟!

وكيف يمكن أن نتصوّر التسوية بين من ثار لطلب الإصلاح في أمّة جده، وبين من يحارب لأجل الملك والسلطان، وانطلاقاً من الحمية والعصبية؟!

كما أنّنا لا ندري كيف صار اليوم الثامن عشر من المحرم هو يوم قتل مصعب! مع أنّ مصعباً قد قتل في النصف من جمادى الأولى من سنة اثنين وسبعين، كما هو معروف (2).

أضف إلى ذلك: إنّه كيف خفي هذا الأمر على علماء أجلاء من طائفة كبيرة منتشرة في طول البلاد وعرضها، فلم يلتفتوا. وإذا كانوا قد التفتوا فلماذا لم يلفتوا نظر أتباعهم طيلة عشرات السنين إلى هذا

الإسلام للذهبي (حوادث سنة 380 - 400هـ) ص25 وعن تاريخ كزيده ص148 وذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع ج3 ص339 - 340.

(1) سير أعلام النبلاء ج4 ص141 وفي تاريخ بغداد ج13 ص106: اتهام له بأنّه كان يشرب!.

(2) راجع: على سبيل المثال: سير أعلام النبلاء ج4 0 ص143 والطبقات الكبرى ج5 ص 183.

الخطأ الفاحش والمعيب؟!

تماماً كما لم يلفتوا نظرهم إلى ذلك الخطأ هجرة النبي «صلى الله عليه وآله»!! كما قدّمنا.

ثم إن ابن كثير قد حاول تخفيف قبح ذلك، حينما نسب هذا الفعل إلى طائفة من جهلة أهل السنة. مع أن المؤرخين الآخرين، وهم أقدم منه قد صرحوا: بأن أهل السنة قد فعلوا ذلك ولم يشيروا إلى العوام بشيء في هذا المورد.

وأخيراً، فإننا نشكر ابن كثير على اعترافه بأن هذا الفعل كان بدعة من أناس هو نفسه يقول عنهم إنهم يقتدون، ولا يبتدعون كما أسلفنا عنه.

فتنة، ونفي المفيد:

17 ـ سنة 392هـ.ق: قال اليافعي: «فيما زاد أمر الشطار، وأخذوا الناس ببغداد نهاراً جهاراً، وقتلوا، وبدّعوا، وأضلوا بعض ذلك ببعض، وكثروا وصار فيهم هاشميون، فسيّر بهاء الدولة ـ وكان غائباً ـ عميد الجيوش إلى العراق ليسوسها؛ فقتل وصلب، ومنع السنّة والشيعة من إظهار مذهب».

وزاد في بعض المصادر قوله:

«ونفي ابن المعلم فقيه الشيعة، وقامت هيبته» (1).

---

(1) راجع: فيما تقدم: مرآة الجنان ج2 ص444 وتاريخ الإسلام للذهبي

18 ـ سنة 393هـ. وقالوا: وفيما منع عميد الجيوش من النوح على الحسين في يوم عاشوراء، ومنع جهلة السنّة من النوح على مصعب بن الزبير (1).

فيظهر من عبارة اليافعي السابقة: أن غير الشيعة هم رواد هذا الذي حصل، لأن الاتهام بالضلال، وبالبدعة، إنما كان في الاكثر يأتي من قبل الحنابلة ـ وهم سنة بغداد حينئذ ـ تجاه الشيعة. كما أن وجود العباسيين الهاشميين! في ضمن المتصدين لافتعال الاحداث يشير إلى أن هذه الحركة قد كانت في جانب غير الشيعة، لأن الهاشميين كانوا شديدي التعصب والحقد على الشيعة كما تقدم.

ولكن الأمر الذي يلفت النظر هو منع عميد الجيوش للناس من إظهار مذاهبهم، بدلاً من أن يوفر الحرية للناس لإظهار مذاهبهم وآرائهم ومعتقداتهم وقد كان عليه أن يسمح لمن يريد أن يقيم شعائر دينه ومذهبه، ويمنع من يريد أن يثير الأحقاد، ويشنع على الآخرين، ويثير حفائظهم ويبتدع أعياداً ليس لها أساس شرعي حسب مذهبه.

(حوادث سنة 380 ـ 400هـ) ص255 ودول الإسلام ص210 والمنتظم ج7 ص222 ـ 220 والكامل في التاريخ ج9 ص178.

(1) راجع: البداية والنهاية ج11 ص332 وتاريخ الصابي (مطبوع على أنه ذيل لتجارب الأمم) ج6 ص458 وتاريخ الإسلام (حوادث سنة 380 ـ 400هـ) ص227 والنجوم الزاهرة ج4 ص206 وقال: إنهم ابتدعوا ذلك في مقابل الرافضة.

والأعجب من ذلك أن يكون المستهدف من حملة عميد الجيوش هو الشيعة على ما يظهر، وذلك تعصباً منه عليهم، وإلا، فلماذا ينفي ابن المعلم (الشيخ المفيد)، إذا كان الامر على خلال ذلك؟!.

نفي المفيد مرة أخرى:

19 - وفي سنة 398هـ. «في عاشر رجب جرت فتنة بين السنّة والرافضة، سببها: أن بعض الهاشميين قصد (1) أبا عبد الله محمد بن النعمان المعروف بابن المعلم، وكان فقيه الشيعة في مسجده بدرب رباح، فعرض له بالسب؛ فثار أصحابه له، واستنفر أصحاب الكرخ، وصاروا إلى دار القاضي أبي محمد الأكفاني، والشيخ أبي حامد الأسفراييني، وجرت فتنة عظيمة طويلة.

وأحضرت الشيعة مصحفاً ذكروا أنه مصحف عبد الله بن مسعود، وهو مخالف للمصاحف كلها، فجمع الأشراف والقضاة والفقهاء في يوم الجمعة لليلة بقيت من رجب، وعرض المصحف عليهم؛ فأشار الشيخ أبو حامد الأسفراييني والفقهاء بتحريقه، ففعل ذلك بمحضر منهم.

فغضب الشيعة من ذلك غضباً شديداً. وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبونه. وقصد جماعة من أحداثهم دار الشيخ أبي حامد ليؤذوه، فانتقل منها إلى دار القطن.

---

(1) قصده من محلة باب البصرة.

وصاحوا: يا حاكم يا منصور.

وبلغ ذلك الخليفة؛ فغضب وبعض أعوانه لنصرة أهل السنة، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة، وجرت خطوب شديدة.

وبعث عميد الجيوش إلى بغداد لينفي عنها ابن المعلم، فقيه الشيعة، فأخرج منها، ثم شُفع فيه.

ومنعت القصاص من التعرض للذكر والسؤال باسم الشيخين، وعلي «رضي الله عنه».

«وعاد الشيخ أبو حامد إلى داره كعادته» (1).

هذا نصّ ابن كثير.. لكن ابن الجوزي وغيره يقولون بعد ذكر حرق المصحف: «فلما كان في شعبان كتب إلى الخليفة بأن رجلاً من أهل جسر النهروان حضر المشهد بالحائر ليلة النصف، ودعا على من أحرق المصحف وسبه، فتقدم بطلبه، فأخذ فرسم قتله، فتكلم أهل الكرخ في هذا المقتول؛ لأنه من اشيعة، ووقع القتال بينهم وبين أهل

---

(1) البداية والنهاية ج11 ص338 - 339 وقريب منه في الكامل في التاريخ ج9 ص208 والمنتظم ج7 ص337 - 338 ومرآة الجنان ج2 ص448 - 449 وتاريخ الإسلام (حوادث سنة 380 - 400هـ) ص237 - 238 وراجع: تاريخ الخلفاء ص412 وأشار إلى ذلك أيضاً في النجوم الزاهرة ج4 ص218 وفي العبر ديوان المبتدأ والخبر ج4 ص4771 ودول الإسلام ص212.

باب البصرة وباب الشعير» [1].

«ثم سأل الأشراف والتجار الخليفة بالعفو عما فعل السفهاء فعفا عنهم. فبلغ الخبر عميد الجيوش؛ فسار ودخل بغداد، فراسل أبا عبد الله ابن المعلم فقيه الشيعة بأن يخرج عن البلد ولا يساكنه، ووكل به فخرج في ليلة الأحد لسبع بقين من رمضان إلخ..».

ثم ذكر ما تقدم، وأنه عاد فرسم للقصاص عودهم إلى عادتهم من الكلام بعد أن شرط عليهم ترك التعرض للفتن [2].

ونقول:

لا ندري من أين نبدأ في إبداء ملاحظاتنا على هذا الحادث المذهل!! وكيف يمكننا أن نفهمه، فضلاً عن أن نقيمه، ونعطي رأينا فيه؟!

فها نحن نرى: أن نفس ذلك الذي أعتدي عليه، وسُبَّ، وأهين أوّلاً قد أصبح هو الضحية في النهاية، كما كان الضحية في البداية، فيتعرض للنفي والتشريد ويناله من بغيهم وحقدهم كل سوء ومكروه.

كما أن ذلك الذي يفترض فيه أن يكون الحَكم الذي يُنتهى إليه

(1) المنتظم ج7 ص237 وتاريخ الإسلام (حوادث سنة 380 - 400هـ) ص237.

(2) راجع: المنتظم ج7 ص238 وشذرات الذهب ج3 ص149 - 150 وتاريخ الإسلام (حوادث سنة 380 - 400هـ) ص338.

حين التنازع، قد جعل نفسه خصماً لأحد الفريقين، وبادأه بالشر والتعدي، لا لشيء إلا لأنه يقول بخلاف مقالته، ويذهب إلى غير مذهبه.

فأصبح المصلح هو المفسد، والحكم هو الخصم، وكانت الضحية هي الحق والدين، والخلق النبيل والرفيع. ويتضح ذلك أكثر إذا لاحظنا: أن المعتدي أولاً، والذي قصد الشيخ المفيد ليسبّه بين تلامذته وأصحابه قد كان رجلاً عباسياً (من الهاشميين) يكنّ بغضاً وحقداً على الشيعة من موقع عباسيته، ومخالفته لهم في المذهب والاعتقاد. ثم يأتي الحكم العباسي بكل ما يملكه من قوة وسلاح وعتاد، لا ليصلح بين المتخاصمين، ولا ليؤدّب المعتدي، ويردع الظالم، ويأخذ للمظلوم، من ظالمه، وإنما ليعين الظالم في ظله وليرتكب أبشع الجرائم في حق الناس الأبرياء العاديين الذين لا حول لهم ولا قوة إلا بالله.

أما بالنسبة لقضية مصحب ابن مسعود، فقد ألمحت بعض النصوص التي أوردها بعض من أرّخ هذه الحادثة إلى أنه قد أخذ غصباً في عمليات النهب والتعدي على بيوت الشيعة. لا لأجل أن يحتفظ به كأثر نادر ونفيس، ولا ليكرم ويعظم لما يضمه من آيات بيّنات، وإنما ليحرق بلا إذن صاحبه، ومن دون رعاية لحرمة ما فيه من كلام الله سبحانه.

وحتى لو كان علماء اهل السنة يرون لزوم إتلافه، فإن الأخلاق

والإنسانية تقتضي مشاركة علماء الشيعة في الرأي وفي القرار في هذا الأمر. وقد كان يمكن الاحتفاظ به لمن يرى عدم لزوم إتلافه من موقع مالكيته له، ومن موقع رأيه الديني واجتهاده الفقهي، وقد كان هذا يكفي معذراً لأولئك الفقهاء الآخرين، الذين فعلوا ما فعلوا، وارتكبوا ما ارتكبوا.

وحتى إتلافه، فإنه لو كان واجباً ـ كما يدّعيه هؤلاء ـ فإنه لا ينحصر بطريقة الإحراق، التي تحمل طابع الإهانة وعدم الاحترام. وحتى لو لم تكن كذلك، فإن الحفاظ على مشاعر الآخرين، وملاحظة رأيهم الاعتقادي كان يحتم ذلك ويقتضيه، إذ لا ريب في أن الواجب بنظر هؤلاء ليس هو الإحراق، وإنما هو الاتلاف.

ولو تجاوزنا جميع ما تقدم إلى جانب آخر من الجوانب التي لهذا الحدث، فإننا نجد: أن النكبة التي تعرض لها الشيعة، بسبب قضية المصحف، قد تمت اعتماداً على كتاب من نمّام وصل إلى الخليفة بأن رجلاً قد دعا على من أحرق المصحف وسبّه.

مع ان هذا لا يكفي لصحة الحكم بقتل الرجل، لا من حيث طريقة المعرفة بما جرى، ولا من حيث حجم الجريمة، وما قرّره الخليفة جزاء عليها، لو ثبتت.

وأغرب من ذلك: أنه بعد أن عفا الخليفة عن المذنبين لو كان هناك مذنبون، لماذا يصر عميد الجيوش على نفي الشيخ المفيد بالذات، ودون كل أحد سواه؟! وما هو الذنب الذي ارتكبه المفيد

ليستحق معه النفي والتشريد؟!

وفي مقابل ذلك نجد: أن الذي أحرق المصحف قد عاد إلى داره في أمره وأمان كعادته، ودون أن يتعرض له أحد بسوء!.

وإذا كان الأحداث هم الذين صاحوا يا حاكم يا منصور، فهل يحق للخليفة أن يتحيز لأحد الطرفين، ويرسل أعوانه لنصرة أهل السنة، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة، وجرت خطوب شديدة؟!.

ومن الملاحظ أخيراً: أنه قد كان للقصاصين دور في إثارة الفتنة، والتحريض المبطن، ومن الواضح: أن القصاصين كانوا ـ عموماً من غير الشيعة ـ فيظهر: أنهم كانوا يسألون الناس باسم بعض الصحابة، الذين لهم ـ بنظر البعض ـ مشكلات في حياتهم السياسية، والسلوكية على صعيد الالتزام بالحكم الشرعي والتعبد به، فكان السؤال باسم هؤلاء يثير بعض الناس، ويهيج الفتن. وقد قدمنا: أن السؤال باسم علي «عليه السلام» لم يكن ليثير أحداً، لأن الجميع يحترمونه ويجلونه «عليه السلام»، ولكن السؤال باسم من حارب علياً، كمعاوية، ومروان مثلاً يثير حفيظة من يرى أن هؤلاء قد أخطأوا الصواب في أفعالهم وفي مواقفهم.

ولأجل ذلك، نجد أنهم لما سمحوا للقصاص بمعاودة القصص، قد شرطوا عليهم «ترك التعرض للفتن».

20 ـ سنة 401هـ. وفي هذه السنة نجد: أن عميد الجيوش قد «منع الروافض النياحة في عاشوراء، وما يتعاطونه من الفرح في يوم ثامن

عشر ذي الحجة، الذي يقال له: غديم خم» (1).

فلماذا هذا المنع يا ترى أليس هذا بغياً وظلماً وتعدياً عليهم، وحجزاً لحرياتهم في التعبير عن آرائهم ومعتقداتم؟!

وأغرب من ذلك: أن نجد رجلاً يدعي لنفسه العلم والمعرفة يستنكر هذه الحرية، وتثور ثائرته على من ياذن للشيعة بأن يمارسوا حقهم هذا.

يقول ابن كثير: في سنة 402هـ. «في المحرم منها أذن فخر الملك الوزير للروافض أن يعملوا بدعتهم الشنعاء، والفضيحة الصلعاء من الانتحاب والنوح والبكاء، وتعليق المسوح، وأن تغلق الأسواق من الصباح إلى المساء، وان تدور النساء حاسرات عن وجوههن ورؤوسهن، ويلطمن خدودهن كفعل الجاهلية الجهلاء على الحسين بن علي، فلا جزاء خيراً، وسود الله وجهه يوم الجزاء، إنه سميع الدعاء» (2).

21 - سنة 406هـ. «وقع في يوم الثلاثاء غرة المحرم فتنة بين العوام كان سببها: أن أهل الكرخ جازوا بباب الشعير؛ فتولع بهم أهله؛ فاقتتلوا، وتعدى القتال إلى القلائين، فأرسل فخر الملك الشريف

---

(1) البداية والنهاية ج11 ص344 وراجع: المنتظم ج7 ص253 ومرآة الجنان ج3 ص3.

(2) البداية والنهاية ج11 ص345.

المرتضى وغيره؛ فأنكروا على أهل الكرخ ما يجري من سفهائهم، واستقر الأمر على كفهم، وشرط عليهم أن لا يعلقوا في عاشوراء مسوحاً، ولا يقيموا نوحاً»[1].

وقال ابن تغري بردى: «فيها منع فخر الملك يوم عاشوراء من النوح مخافة الفتنة. وكان الشريف الرضي قد توفي في خامس المحرم؛ فاشتغلوا به»[2].

ونقول:

إن المنع من عاشوراء، مخافة الفتنة ليس بالامر المستساغ، بعد أن كان المفروض بالقائمين على النظام والقانون هو أن يؤمنوا الحريات العامة لمواطنيهم، وأن يردعوا الذين يريدون ممارسة البغي والظلم والتعدي على الآخرين بلا مبرر، لا من شرع ولا دين، ولا خلق إنساني.

بل إن هذا المنع يعد مناصرة للبغي والظالم، وإمعاناً في قهر المظلوم وتضييع حقه.

ولا ننسى هنا: الإلماح إلى أن تعلق أهل باب الشعير بأهل الكرخ المجتازين ليس له ما يبرره سوى التعصب الأعمى الذي يردي

---

(1) المنتظم ج7 ص276 وراجع: الكامل في التاريخ ج9 ص263 والبداية والنهاية ج12 ص2.

(2) النجوم الزاهرة ج4 ص329.

صاحبه، ويأتي بالمصائب، والويلات والنوائب..

ونسجل هنا: إكبارنا للشريف المرتضى، الذي أراد وأد الفتنة، ولام أهل الكرخ على اجتيازهم بمحلة أناس لا يحبونهم، ويعرفون أنهم قد يتعرضون في تلك المحلة إلى مشاكل هم في غنى عنها. كما قد حصل ذلك بالفعل، الأمر الذي اضطرهم للدفاع عن أنفسهم، فما معنى وصف المؤرخين لهم بالسفاهة والحالة هذه؟!

ونسجل: إكبارنا للشيعة الذين قبلوا بعدم إقامة الشعائر الحسينية لكي لا يفسحوا المجال لمن يريد الفتنة ليحقق ما يرمي إليه.

جريمة ولا أبشع منها:

22 - سنة 407هـ. «في هذه السنة قتلت الشيعة الذين ببلاد أفريقية، ونهبت أموالهم، ولم يترك منهم إلا من لا يعرف»[(1)].

التفصيل والشرح:

قال ابن الأثير: «في هذه السنة في المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد إفريقية.

وكان السبب في ذلك: أن المعز بن باديس ركب ومشى في القيروان والناس يسلمون عليه، ويدعون له، فاجتاز بجماعة، فسأل عنهم؛ فقيل: هؤلاء رافضة، يسبون أبا بكرو عمر، فقال: رضي الله

(1) البداية والنهاية ج12 ص5.

عن أبي بكر و عمر.

فانصرفت العامة من فورها إلى درب المقلى من القيروان، وهو مكان تجتمع به الشيعة، فقتلوا منهم، وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم طمعاً في النهب، وانبسطت أيدي العامة من الشيعة، وأغراهم عامل القيروان وحرضهم.

وسبب ذلك: أنه كان قد أصلح أمور البلد، فبلغه: أن المعز بن باديس يريد عزله، فأراد فساده. فقتل من الشيعة خلق كثير، وأحرقوا بالنار، ونهبت ديارهم، وقتلوا في جميع إفريقية.

واجتمع جماعة إلى قصر المنصور قريب القيروان فتحصنوا به، فحصرهم العامة، وضيقوا عليهم، فاشتد عليهم الجوع، فأقبلوا يخرجون، والناس يقتلونهم، حتى قتلوا عن آخرهم، ولجأ من كان منهم بالمهدية إلى الجامع فقتلوا كلهم.

وكانت الشيعة تسمى بالمغرب (المشارقة)، نسبة إلى عبد الله الشيعي، وكان من المشرق.

واكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة، فمن فرح مسرور، ومن باك حزين» (1).

---

(1) الكامل في التاريخ ج9 ص294 - 295 وراجع: تاريخ ابن الوردي ج1 ص460 لكن الطابع قد وضع نقاطاً في موضع بعض الكلمات لحاجة في نفسه قضاها.

ونقول:

ليس من السهل على الإنسان تصور أناس قساة جفاة، ويحملون روحاً شريرة عاتية إلى حد أن تبادر هذه الجماعة إلى إبادة طائفة كبيرة من الناس، واستئصالها من جميع أنحاء البلاد المترامية الأطراف، وبهذه الصورة الحاقدة والبشعة، بالسيف والجوع، والحرق بالنار.

نعم، إنها تقوم بذلك من دون مبرر ولا موجب، سوى التعصب المقيت والبغيض، ومن أجل نهب الأموال، والحصول على المال.

ومهما يزيد في حيرتنا وذهولنا: أن يتم ذلك استناداً إلى تهمة يلقيها أناس ضد آخرين في ظهر الغيب، ومن دون أن يطالب المتهمون بذنبهم، وبتوضيح موقفهم من التهمة الموجهة إليهم.

وأغرب من ذلك أن يكون جواب المعز بكلمة: رضي الله عن أبي بكر وعمر، هو الضوء الأخضر، لمباشرة حملة الإبادة هذه.

مع أن هذه الكلمة لا تستبطن تصديقاً للتهمة، فضلاً عن أن تعتبر إذناً بارتكاب هذه المجزرة المرعبة في حق أولئك الأبرياء.

وبعد ما تقدم، فهل صحيح: أن هؤلاء الناس كانوا يسبون أبا بكر وعمر؟! أم أن هذه هي رأس الحربة، التي يراد التوصل بها إلى أهداف شريرة ولا إنسانية؟!

وأعجب من ذلك، أن تكون شهوة العسكر واتباعهم طمعاً في النهب هي السبب الآخر لذلك. فأي عسكر هذا، وما قيمة أتباعه إذا

كانوا يريدون قتل العباد، وإفساد البلاد؟!.

وهل يمكن أن يعتمد على هذا العسكر في إقامة الحق، ونشر العدل، والدين والفضيلة؟! ويكون عماداً للملك الظافر، والعز المنيع؟! ثم يكون وسيلة لإشاعة الأمن، ونشر السلام والرخاء في البلاد وعلى العباد؟!.

ولا ندري بعد هذا ما الذي نقوله في عامل القيروان، الذي أغرى الناس وحرضهم على ارتكاب تلك الجريمة المهولة، لأنه أراد إفساد البلاد، حينما خاف عزل المعز له.

فإذا كان هذا هو فعله الظاهر من أجل المال والملك، فماذا عساه كان يفعل بالرعية، وكيف كان يسوسها في الباطن وما هي الأساليب التي كان يتبعها لتحقيق مآربه الشريرة، وأهدافه الشيطانية.

وأما الشعراء الذين كانوا يعبرون في شعرهم عن فرحهم وسرورهم. وكذلك المؤرخون الذين لم يتفوهوا بكلمة إدانة لهذا العمل الإجرامي الشنيع، مع حرصهم على تخير أبشع الألفاظ للتعبير عن سخطهم على الشيعة لإقامتهم مأتم العزاء للإمام الحسين «عليه السلام»، فيوجهون إليهما ما شاؤا من قوارع القول وقواذعه، أما هؤلاء ـ ابن كثير ـ وابن الأثير، وابن تغري بردى، والذهبي وغيرهم ـ فإن الله حسبهم، وهو الذي يتولى حسابهم على هذا الظلم الفاحش، والبغي الغبي والبغيض.

23- سنة 408هـ. «إن الفتنة بين الشيعة والسنة تفاقمت، وعمل

اهل نهر القلائين باباً على موضعهم ،وعمل أهل الكرخ باباً على الدقاقين مما يليهم. وقتل الناس على هذين البابين. وركب المقدام ابو مقاتل. وكان على الشرطة ليدخل الكرخ فمنعه أهلها، والعيارون الذين فيها وقاتلوه، فاحرق الدكاكين، وأطراف نهر الدجاج، ولم يتهيأ له الدخول» (1) .

ولا نريد التعليق على هذا الحدث بأزيد من توجيه الأنظار إلى التحامل الذي يبديه الحكام على شيعة الكرخ، ومناصرتهم للفئة الأخرى عليهم، بدلاً من أن يتخذوا جانب النصفة والاعتدال، والعدل في الأفعال والأقوال.

وطبيعي بعد هذا أن تشعر الفئة المضطهدة بخيبة الأمل وبالغربة، وبالمظلومية. ثم أن تصعد الفئة الباغية من ممارساتها العدوانية، وأن تزيد غروراً وزهواً وصلافة وتصلباً في مواقفها.

القتل المشروع!!:

24 ـ سنة 408هـ. «في سنة ثمان وأربع مائة استتاب القادر بالله أمير المؤمنين فقهاء المعتزلة والحنفية؛ فأظهروا الرجوع، وتبرؤوا من الاعتزال، ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة في الاعتزال،

---

(1) المنتظم ج7 ص287 وراجع: البداية والنهاية ج12 ص6 والكامل في التاريخ ج9 ص305 وشذرات الذهب ج3 ص186 وراجع: مرآة الجنان ج3 ص21 ودول الإسلا ص214.

والرفض، والمقالات المخالفة للإسلام، وأخذ خطوطهم بذلك، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم.

وامتثل يمين الدولة، وأمين الملة أبو القاسم محمود أمر أمير المؤمنين، واستنّ بسننه في أعماله التي استخلفه عليها من خراسان وغيرها في قتل المعتزلة، والرافضة، والإسماعيلية، والقرامطة، والجهمية، والمشبهة، وصلبهم، وحبسهم، ونفاهم، وأمر بلعنهم على منابر المسلمين، وإبعاد كل طائفة من أهل البدع، وطردهم عن ديارهم، وصار ذلك سنة في الإسلام» (1).

وقال ابن دقماق: «وصلب من الروافض، والزنادقة، والمعتزلة أعيانهم» (2).

ونقول:

لقد أصبح أخيراً الاعتزال، والمذهب الحنفي، والتشيع والإسماعيلية، مقالات تخالف الإسلام، والمقصود هو الإسلام الحنبلي طبعاً.

وأصبح الدين والمذهب يصح، ولا يصح بمرسوم يصدره الحاكم. وبمقتضى هذا المرسوم يتدين الناس بهذا المذهب، أو بذاك، وليس

---

(1) المنتظم ج7 ص287 والبداية والنهاية ج12 ص6 وراجع: الكامل في التاريخ ج9 ص305 ومرآة الجنان ج3 ص22 ودول الإسلام ص214.

(2) الجوهر الثمين ص190 وفي هامشه عن: العبر ج3 ص98.

استناداً إلى الحجة والدليل، ولا من منطلق القناعات العقلية والوجدانية، التي يجد الإنسان نفسه معذوراً إذا توفرت له، وتكونت لديه.

وأصبحت مخالفة الحاكم فيها يعتقده ويراه ويتدين به جرماً يستحق مرتكبه العقاب الأليم والرادع. وعليه أن يكتب تعهداً خطياً بذلك، لتكون أقوى في الحجة , وأكد في التبرير.

فما علينا إذن إلا أن نلقد الحكام في مذاهبهم ومعتقداتهم، وليس لنا أن نفكر، ونبحث، ولا أن ندرس، ونتأمل، ولا أن نتداول ونتباحث، لنعرف الحق من الباطل، والصحيح من السقيم، والحقيقي من المزيف.

لا، ليس لنا ذلك، بل التدريس ممنوع، والمناظرة ممنوعة، والكلام ممنوع.

وعلى من تكون لديه قناعة بأمر من الأمور على أنه شرع الله، ودينه ورسالته ـ عليه ـ أن يتخلى عن ذلك، وأن يخالفه إلى شرع الحاكم ودينه؛ فإن مخالفة الحاكم لا تجوز، أما مخالفة الله سبحانه فلا مانع منها، بل هي ضرورية وحتمية، إذا كان حكم الله وشرعه يخالف حكم الحاكم وشرعه.

ثم إننا لا ندري كيف ثبت للخليفة ومن وراءه من الحنابلة: أن المذهب الحنفي والتشيع، والاعتزال، والإسماعيلية مذاهب تخالف الإسلام؟! وكيف وبأي حجة ومبرر يجعل هؤلاء في مصاف الزنادقة

الخارجين عن أي دين؟!.

وإذا كان السيف هو دليل الخلفة وحجته، فهل يصلح السيف والسلطان دليلاً في أمور اعتقادية كهذه؟! وهل إذا غير الخليفة مذهبه أو جاء خليفة آخر لا يوافقه في المذهب، هل يتغير الدليل والحجة؟! أم أن الدليل يبقى هو الدليل، والحجة تبقى هي الحجة؟!

وإذا كانت الحجة على خروج هؤلاء جميعاً عن الإسلام موجودة ومتوفرة، فلماذا لا يعرضها الخلفة وأتباعه للنظر فيها؟! وما هو وجه الحاجة إلى المرسوم؟ فإن الناس يحبون أن يتدينوا بدين الحق إذا توفرت لديهم القناعات الكافية بصحته، وقام الدليل القاطع على صوابه.

وهل لنا أن نسأل المؤرخين لهذه الفترة من الزمن: هل قتل أو صلب أو نفي، أو حبس، أو لعن على منابر المسلمين أحد من الزنادقة، الذين يتستر الخليفة ومن معه بذكر اسمهم ـ في المرسوم فقط ـ وذلك بهدف التمويه، والتشويه، وتبرير البغي والتجني على الآخرين؟!.

وإن مما هو جدير بالملاحظة هنا هو: أننا نجد الخليفة يستخلف رجلا على خراسان، ويجعل مهمته هي قتل، وحبس، وصلب، واضطهاد الناس لأجل عقائدهم.

فقام بهذه المهمة على أكمل وجه وأتمه وفعل بالأبرياء ما فعل مما هو مذكور ومسطور.

وقد كانت خراسان هي الضحية في بادئ الأمر، لأن الأمر فيها أسهل وأيسر. لأنها لبعدها عن مركز الخلافة لا يشكل أي تحرك فيها خطراً على الحكم، ويمكن تطويقه والقضاء عليه، قبل أن تصل بوادره إلى العاصمة العباسية.

وآخر ما يلفت النظر هنا هو: هذه الرقة الفائقة، التي تبدو وكأنها تقطر من الحروف والكلمات المنتقاة والمتخيرة التي يَزفُّ فيها المؤرخون (الحنابلة في الأكثر) هذه البشرى للأجيال بعدهم. فنجد الطمأنينة والعاطفة، والأنس، والمحبة، والألقاب الفخمة في كلماتهم، وهم يتحدثون عن هذا المرسوم وعن الذي أصدره وعن الرجل الذي نفذه، مع تخير الفاظ مضادة لذلك تماماً للتعبير عن الفرق التي يراد سحقها، وتدميرها، وإبادتها.

وحتى وهم يتحدثون عن القتل، والصلب، فإنهم لا يهملون الإشارة إلى التكفير أو ما هو من قبيله؛ بالإضافة إلى استعمالهم الألفاظ التي تتضمن النبز والانتقاص ـ باعتقادهم ـ للفرق الضحايا. مثل: رافضة، واهل البدع. ومقالات مخالفة للإسلام إلخ.

وأخيراً فإننا نوصي القارئ الكريم بأن يحتفظ في ذاكرته بآخر عبارة للمؤرخين لهذه الحادثة، وهي قولهم:

«وصار ذلك سنة في الإسلام»!! لا ندري أي إسلام يقصدون، وعن أي إسلام يتحدثون.

هل المقصود إسلام الحكام والسلاطين. وإسلام الجمود والخمود،

وإسلام الغثاء والغثر[2] على حد تعبير البعض[1]. وإسلام الجبرية والبطش؟!

أم هو الإسلام المحمدي الفطري والصافي، القائم على الدليل والبرهان، وإسلام العلماء، والأولياء والأنبياء «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»؟!

لا شك أنهم يقصدون الإسلام بالمعنى الأول المزيف لا الإسلام الحقيقي والأصيل.

ليس هذا هو كل شيء:

قد ذكرنا فيما تقدم أحداثاً جرت في خلال ستين سنة، وهي توضح لنا: أنه قد كان هناك جماعة لا تقف عند حد، ولا يردعها رادع، ولا يمنعها مانع عن ارتكاب أبشع الجرائم في حق الأبرياء والعزل من الناس. وكانت تفتعل الفتن، وتثير الحروب خصوصاً ضد أهل الكرخ في بغداد، لاسيما في مناسبة عاشوراء من كل عام، ثم في مناسبة يوم الغدير الأغر.

وما ذكرناه هنا فإنما هو خصوص النصوص التي صرحت أو

---

(1) الغثاء ـ بالضم والمد ـ في الأصل: ما يجيء فوق السيل مما يحمله من الزبد والوسخ وغيره، أطلقت عليهم على المجاز، والغثر ـ بضم فسكون ـ: جمع «أغثر» أصله سفلة الناس وأراذلهم.

(2) تأويل مختلف الحديث ص80.

ألمحت إلى حصول التعدي، والبغي من قبل فئة بعينها.

ولكن من الواضح: أن ما ذكرناه وإن كان كثيراً جداً بالنسبة لهذه الفترة الزمنية القصيرة. حيث إنه يزيد عن ثلث المدة التي ألزمنا انفسنا بالحديث عنها. إلا أنه ليس هو كل ما حصل، فقد بقيت هناك فتن كبيرة وكثيرة جرت أيضاً في العديد من السنين في هذه الفترة ذاتها. وقد احتفظ لنا التاريخ، الذي دون من قبل المتعصبين على الشيعة ببعض إشارات إليها. دون أن يوضحوا اسباب ذلك بصورة كافية.

ونحن هنا نشير إلى فهرسة إجمالية لها، حسبما توفر لنا الإطلاع عليه في هذه العجالة، وهي التالية:

25 ـ سنة 351هـ. «فيها في جمادى الأولى كانت فتنة بالبصرة وبهمذان أيضاً بين العامة، بسبب المذاهب، قتل فيها خلق كثير» (1).

26 ـ سنة 379هـ. «فيها وفي التي تليها أشتد البلاء، وعظم الخطب ببغداد بأمر العبادين (الصحيح: العيارين)، صاروا حزبين، ووقعت بينهم حروب، واتصل القتال بين أهل الكرخ، وباب البصرة، وقتل طائفة، ونهبت اموال الناس، وتواترت الفتن، وأحرق بعضهم دور بعض» (2).

---

(1) الكامل في التاريخ ج8 ص544 وراجع: البداية والنهاية ج11 ص241.

(2) مرآة الجنان ج2 ص408.

27- سنة 380هـ. قد تقدم آنفاً: أن القتال اتصل بين أهل الكرخ وباب البصرة. وجاء في نص آخر:

«لما سار بهاء الدولة عن بغداد ثار العيارون بجانبي بغداد، ووقعت الفتن بين السنة والشيعة، وكثر القتل بينهم. وزالت الطاعة، وأحرق عدة محال، ونهبت الأموال، وخربت المساكن. ودام ذلك عدة شهور، إلى أن عاد بهاء الدولة» (1).

28 - سنة 381هـ. «في اليوم الثالث عشر من ذي الحجة، وهو يوم غدير خم جرت فتنة بين الروافض والسنة، واقتتلوا فقتل منهم خلق كثير إلخ..»[2].

29 - سنة 384هـ. «فيها قوي أمر العيارين ببغداد، وشرع القتال بين الكرخ، وأهل باب البصرة. وظهر المروف بـ «عزيز» من أهل باب البصرة. واستفحل أمره، والتزق به كثير من المؤذين. وطرح النار في المحال، وطلب أهل الشرط، ثم صالح الكرخ، وقصد سوق البزازين إلخ..» (3).

---

(1) الكامل في التاريخ ج9 ص76 وراجع: المنتظم ج7 ص153 وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة 350 - 380هـ) ص387.

(2) البداية والنهاية ج11 ص309 والمنتظم ج7 ص163 - 164 وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة 380 - 400هـ) ص9 وفي هامشه عن الكامل في التاريخ ج9 ص91.

(3) تاريخ الإسلام الذهبي (حوادث سنة 380 - 400هـ) وفي هامشه عن

30 ـ سنة 391هـ. في هذه السنة أيضاً حصلت فتنة أخرى بين أهل الكرخ واهل السنة فراجع (1).

العجز والخوف:

وبعد، فإننا نجد في بعض كلمات المؤرخين ما يشير إلى أن عدم التحرك ضد الشيعة في بعض السنين، يرجع إلى العجز، أو الخوف، فلاحظ مثلاً:

1 ـ قولهم في سنة 352هـ. «فيها، في عاشر المحرم أمر معز الدولة بالنياحة واللطم، ونشر شعور النساء، وتسويد وجوههن على الحسين «رضي الله عنه»، وعجزت السنة عن منع ذلك، لكون السلطان مع الشيعة» (2).

2 ـ وحسب نص آخر في سنة 352هـ. «ولم يكن أهل السنة منع ذلك لكثرة الشيعة، وظهورهم، وكون السلطان معهم»[3].

3 ـ في سنة 354هـ. «فيها عمل في عاشوراء المأتم ببغداد كالسنة الماضية، ولم يتحرك لهم السنية خوفاً من معز الدولة» (4).

المنتظم ج7 ص174.

(1) تاريخ الصابي (مطبوع من ذيل تجارب الأمم) ج4 ص458.

(2) تاريخ ابن الوريد ج1 ص402.

(3) البداية والنهاية ج11 ص243 والكامل في التاريخ ج8 ص549.

(4) النجوم الزاهرة ج3 ص339.

4 - وفي مصر كان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة، وتتعلق السودان في الطرقات بالناس، ويقولون للرجل: من خالك؟! فإن قال معاوية أكرموه، وإن سكت لقي المكروه، وأخذت ثيابه وما معه (1)، وكانت صيحة السنة إذا أرادوا قتال الشيعة هي:

معاوية خال علي (2).

فهذه النصوص ونظائرها تكان تكون صريحة في أن الشيعة كانوا هم الضحية، وكان الآخرون هم الذين يعتدون عليهم، ويعملون المستحيل لمنعهم من ممارسة حرياتهم، وحقوقهم المشروعة.

هذا غيض من فيض مما يدخل في هذا المجال، ويوضح مدى البغي والظلم الذي كان يمارسه الآخرون ضد الشيعة آنئذٍ.

قبل، وبعد!!:

كنا نرغب لو يفسح لنا المجال لكتابة كل ما جرى على الشيعة من مصائب وبلايا، وكوارث وزوايا، طيلة القرون التي خلت. ولكن من الواضح: أن ذلك بالإضافة إلى أنه قد يستغرق عدة مجلدات، فإنه يحتاج إلى توفر تام، وجهد كبير؛ الأمر الذي يحتم علينا الاعتذار عن التصدي لمثل هذا الأمر فعلاً.

---

(1) الخطط المقريزية ج1 ص431 والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج1 ص130 - 131.

(2) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج1 ص131.

ولكننا قبل أن نترك القارئ للبحث في مجال آخر، نسرد له فهرساً ببقية الأحداث المؤلمة التي جرت في حياة الشيخ المفيد قبل وبعد الفترة المذكورة وهي على النحو التالي:

1 ـ سنة 338هـ. «في آخر ربيع الأول وقعت فتنة بين أهل السنة والشيعة، ونهبت الكرخ»(1).

2 ـ سنة 340هـ. «في رمضان وقعت فتنة عظيمة بالكرخ بسبب المهذب»(2).

3 ـ سنة 345هـ. «فيها مات أبو عمرو الزاهد غلام ثعلب. وجوّز العالم جنازته في الكرخ، فوقعت الفتنة لأجلها»(3).

4 ـ سنة 345هـ. وقعت فتنة عظيمة بين أهل أصبهان، وأهل قم.

«كان سببها: أنه قيل عن رجل قمي انه سب بعض الصحابة. وكان من اصحاب شحنة اصفهان؛ فثار أهلها، واستغاثوا باهل السواد، فاجتمعوا في خلق لا يحصون كثرة، وحضروا دار الشحنة، وقتل بينهم قتلى، ونهب أهل أصفهان أموال التجار من أهل قم إلخ..»(4).

---

(1) المنتظم ج6 ص363 ـ 364 والبداية والنهاية ج11 ص221.

(2) المنتظم ج6 ص369.

(3) تكلمة تاريخ الطبري ج1 ص1171.

(4) الكامل في التاريخ ج8 ص517 والحضارة الإسلامية في القرن الرابع

وحسب نص ابن كثير: «وقعت فتنة عظيمة بين أهل أصفهان، وأهل قم بسبب سب الصحابة من أهل قم. فثاروا عليهم أهل أصفهان، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، ونهبوا أموال التجار.

فغضب ركن الدولة لأهل قم، لأنه كان شيعياً؛ فصادر أهل قم بأموال كثيرة» (1).

فلنقارن معاً بين ما يذكره ابن كثير سبباً للفتنة حيث يقول: «بسبب سب الصحابة، من قبل أهل قم»، وما يذكره ابن كثير، من: أن رجلاً اتسهم بسب الصحابة، فهاجم أهل اصفهان أهل قم، وفعلوا بهم ما فعلوا وقتلوا من أهل قم خلقاً كثير، ونهبوا أموال التجار.

ولننظر أيضاً إلى ما جعله ابن كثير سبباً لغضب ركن الدولة، حيث لم يأخذ بنظر الاعتبار ما حق باهل قم من مصائب، وقتل ونهب، حتى يكون غضب ركن الدولة، لأجل الظلم الذي حاق بالأبرياء بلا مبرر ظاهر، بل لمجرد أنه قيل عن رجل من قم إنه فعل كذا.

بل ذكر أن غضبه قد كان بسبب انتحاله التشيع، مع أن ركن الدولة لم يزد في غضبه لأهل قم على استرجاع بعض الأموال المنهوبة منهم، ولم يعاقب الأصفهانيين بأكثر من ذلك.

الهجري ج1 ص123.

(1) البداية والنهاية ج11 ص230.

5 ـ سنة 346هـ. «في آخر المحرم كانت فتنة للعامة بالكرخ»(1).

وحسب نص آخر: «فيها وقعت فتنة بين أهل الكرخ وأهل السنة، بسبب السب؛ فقتل من الفريقين خلق كثير»(2).

6 ـ سنة 348هـ. «فيها كانت فتنة بين الرافضة، وأهل السنة، قتل فيها خلق كثير»(3).

وحسب نص آخر: «قال في الشذور: اتصلت الفتن بين الشيعة والسنة، وقتل بينهم خلق كثير»(4).

7 ـ سنة 400هـ. حصلت الإغارة على دار الإمام الصادق «عليه السلام» فوجدوا فيها مصحفاً، وقعباً من خشب مطوقاً بحديد، ودرقة خيزران، وحربة، وسريراً، فأخذوا ذلك إلى مصر.

فأخذ الحاكم ذلك، ورد السرير فقط(5).

---

(1) المنتظم ج6 ص384.

(2) البداية والنهاية ج11 ص232.

(3) البداية والنهاية ج11 ص234.

(4) شذرات الذهب ج2 ص376 والمنتظم ج6 ص390.

(5) راجع: البداية والنهاية ج11 ص342 والكامل في التاريخ ج9 ص219 والمنتظم ج7 ص246 والنجوم الزاهرة ج4 ص222وتاريخ الإسلام حوادث سنة (400هـ) ص244.

بعد وفاة المفيد:

وأما بالنسبة لما قبل ولادة الشيخ المفيد، وبعد وفاته ـ رحمه الله ـ فقد مرت على الشيعة أحداث كثيرة، ونوائب خطيرة. لا محال لإحصائها، غير أننا نشير هنا إلى أمور جرت في السنين التي تلت وفاته ـ رحمه الله ـ مباشرة مكتفين بالنقل ـ في الأكثر ـ عن كتاب دول الإسلام. ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة المصادر التي أشرنا إليها في الهوامش السابقة.

1 ـ في سنة 416هـ. أحرقت دار الشريف المرتضى (1).

وفي نفس هذه السنة أحرق الكرخ أيضاً (2).

2 ـ وفي سنة 417هـ هجم الجند على الكرخ، فنهبوه، وأحرقوا الأسواق، وأشرفت الرعية على التلف إلخ..» (3).

3 ـ سنة 419هـ. جرى على مسجد براثا ما جرى مما هو معروف ومشهور (4).

4 ـ سنة 421هـ. أقيم مأتم الحسين بالعويل، فثارت السنة، ووقع

---

(1) دول الإسلام ص217 وراجع: مرآة الجنان ج3 ص29.

(2) العبر ج4 ص474 وراجع: الكامل في التاريخ جط9 ص353.

(3) دول الإسلام ص219.

(4) المصدر السابق.

القتال، حتى قتل جماعة، وخربت الأسواق[1].

5 ـ سنة 422هـ. كان حادث مسجد براثا أيضاً[2].

6 ـ سنة 422هـ. هاجت الفتن بين السنة والشيعة ببغداد، وقتل عدة، وأشرف أهل الكرخ على التلف..

إلى أن قال: فأحرقت أربع مئة وأربعة أسواق[3].

ويستمر هذا المسلسل المخيف والمرعب بإطراد عبر السنين والأعوام إلى أن ينتهي يفتوى الشيخ نوح بقتل الشيعة في حلب[4].

ثم فتوى ابن تيمية بقتل الشيعة في الجرد وكسروان في لبنان[5].

فكانت المجازر قائمة على ساق وقدم. والله هو الحاكم غداً **(وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ)**[6] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،

---

(1) المصدر السابق.

(2) المنتظم ج8 ص41 - 45.

(3) دول الإسلام ص220.

(4) تاريخ الشيعة ص147 - 148 وحلب والتشيع ص154 فما بعدها.

(5) أضواء على المسلمين في بلاد جبيل وكسروان ص61 - 65 عن تاريخ بيروت ص27 وعن مجلة العرفان، العدد الأول، ج72 ص65 وعن مصادر آخرى، وراجع: صبح الاعشى ج13 ص252 وشيخ الإسلام ابن تيمية ص69 - 95 وراجع: ص89 وراجع: البداية والنهاية ج12 ص35 وراجع: ص12.

(6) الآية 27 من سورة الفرقان.

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

أما ما جرى على الشيعة بعد ذلك، فهو أيضاً على هذا النسق ووفق ذلك المنوال، عصمنا الله من الزلل في القول وفي العمل.

لو كان الروافض هم البادئون:

كانت تلك طائفة من الحوادث، التي جرت خلال ستين سنة من حية الشيخ المفيد، وقد عايشها بعقله، وروحه، ووعيه، ومشاعره.

وقد رأينا: أن المؤرخين قد أوضحوا في جلها بأن البغي والاعتداء، كان من فريق بعينه. وكان الشيعة هم الضحية.

بل لقد سمعنا تصريحات من المؤرخين بأن هذا التعدي والبغي كان هو الطريقة المألوفة لذلك الفريق، إلا إذا حال الخوف دون إقدامهم على ما اعتادوا الإقدام عليه عبر السنين المتطاولة.

وما نريد أن نقوله هنا إنه رغم أن التاريخ قد كتب بيد خصوم الشيعة، وهم المصدر الوحيد تقريباً للنصوص التاريخية المتوفقرة لدينا.

ورغم حرص المؤرخين الظاهر على اتهام الشيعة بكل شنيع وقبيح.

نعم رغم ذلك، فإنك لا تكاد تجد ولو مورداً واحداً، يصرح هؤلاء المؤرخون والرواة فيه بأن الشيعة هم البادئون في قتال، أو عدوان على خصومهم.

ولو أنهم وجدوا مورداً واحداً يكون الشيعة فيه هم المعتدون لكان ابن كثير وابن الجوزي، وابن تغري بردى، وأمثالهم من أسخى الناس على الشيعة بالألقاب الشنيعة، واللاذعة، ونعتهم بأبشع الصفات، ووصمهم بأنواع التهم، ولسلقتهم منهم ألسنة حداد بقواذع القول، وقوارع الكلم.

ولكن غاية ما رأيناه من هؤلاء هو لوم الروافض (ولنتوقف قليلا عند هذا النعت) على ما زعموه بدعة وسباً، وهو إقامة العزاء في يوم عاشوراء، والاحتفال بيوم الغدير الأغر.

هل أسهم الحكام في إذكاء الفتنة؟!:

وربما يجد البعض مبررات يعتقد أنها تكفي للتشكيك بنوايا الحكام ودورهم فيما يرتبط بإثارة الفتنة أحياناً.

حيث يجد في بعض النصوص ما يشير إلى أنهم قد أسهموا في إثارة المشاعر المذهبية. وتكريس الإنقاسامات والصراعات على أساس من التعصب الديني والمذهبي.

وكأنه يريد أن يتهم معز الدولة بأنه كان يريد الإبقاء على حالة التوتر، التي كانت قائمة فيما بين السنة والشيعة. ليستفيد هو من ذلك في تدعيم حكمه، وتقوية سلطانه.

وإذا لم يجد هذا الاتهام فرصة ليصبح على درجة من القوة والثبوت؛ فإننا لابد أن نتصور معز الدولة رجلاً ليس في المستوى المطلوب من حيث النضج في مجال التحرك السياسي، حيث وقع في

أخطاء كبيرة وخطيرة، من حيث يدري أو لا يدري.

وعمدة ما يعتمد عليه في هذا المجال، ما يرويه المؤرخون ـ لو صدقوا ـ من أنه في سنة 351هـ. «في ربيع الآخر، كتب عامة الشيعة ببغداد، بأمر معز الدولة على المساجد ما هذه صورته:

«لعن الله معاوية بن أبي سفيان، ولعن من غصب فاطمة «رضي الله عنها» فدكاً، ومن منع من أن يدفن الحسن عند قبر جده «عليه السلام»، ومن نفى أبا ذر الغفاري، ومن أخرج العباس من الشورى».

فأما الخليفة فكان محكوماً عليه، لايقدر على المنع.

وأما معز الدولة فبأمره كان ذلك.

فلما كان الليل حكه بعض الناس، فأراد معز الدولة إعادته؛ فأشار عليه الوزير أبو محمد المهلبي بأن يكتب مكان ما محي:

لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يذكر أحداً في اللعن إلا معاوية. ففعل ذلك» (1).

---

(1) الكامل في التاريخ ج8 ص542 - 543 وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج4 ص442 وراجع: شذرات الذهب ج3 ص7 والنجوم الزاهرة ج3 ص332 - 333 ودول الإسلام ص195 ومرآة الجنان ج2 ص346 والمنتظم ج7 ص8 وتاريخ الخلفاء ص400 وتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة 350 - 380هـ) ص8 والحضارة الإسلامية في القرن الرابع

وقد يحتمل البعض: أن الحاكم هو الذي فعل ذلك، فنسب ذلك إلى الشيعة الإمامية في بغداد، وإلى معز الدولة، فقد قال اليافعي عن الحاكم وهو يتحدث عن وفاته سنة 411هـ:

«وكان شيطاناً..

إلى ان قال: وأمر بشتم الصحابة، وكتبه على أبواب المساجد» (1).

ولكن ما يُبعد هذا الاحتمال الأخير هو الفاصل الزماني فيما بين الحادثتين، الأمر الذي يقرب احتمال تكرر ذلك الحادث.

الذنب الذي لا يغفر:

وواضح: أن ما كان يجري على الشيعة لم يكن سببه أنهم يسبون أحداً من الناس، فإن هذا امر لا يستساغ عندهم إطلاقاً من تأديب أئمتهم «عليهم السلام» لهم. كما سنوضّحه.

ولكن القضية هي: أنهم ما كانوا يعترفون بشرعية خلافة من عدا أهل البيت «عليهم السلام»، استناداً إلى آيات قرآنية، وأحاديث متواترة رواها أئمة الحديث والأثر، لدى جميع المسلمين.

فتوليهم لأهل البيت هذا، وحرصهم على إظهار هذا التولي قد

للهجري ج1 ص129 وفي هامشه عن أبي الفداء ج2 ص478 تحت عام 351 وبعض هذه المصادر لم يصرح باسم معزّ الدولة.

(1) مرآة الجنان ج3 ص25.

برر للآخرين اتهامهم بأنواع من التهم الباطلة، حتى الزندقة والإلحاد، ثم استحلال أموالهم، ودمائهم، وكل شيء منهم.

قال عبد الرحمن بدوي: «إن الإتهام بالزندقة في ذلك العصر (يعني عصر العباسيين الأول) كان يسير جنباً مع الانتساب إلى مذهب الرافضة، كما لاحظ ذلك الأستاذ (فيدا)» (1).

وقال الطغرائي (أو رجل اسمه أبو حنيفة) في جملة أبيات له:

ومتى تولى آل محمد مسلم قتلوه أو وصموه بالإلحاد (2).

على هامش البحث: مبتكر عيد الغدير:

لقد ادعى البعض: أن عيد الغدير «لم يكن مشروعاً، ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم، وأول ما عرف في الإسلام بالعراق أيام معز الدولة علي بن بويه؛ فإنه أحدثه في سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة؛ فاتخذه الشيعة من حينئذٍ عيداً» (3).

(1) من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص37.

(2) البيت مثبت في إحدى قصائد الطغرائي، فإن كان غيره هو القائل له فيكون قد أخذه الطغرائي على سبيل الاستشهاد.. ونسبه إلى أبي حنيفة في إحقاق الحق (الملحقات) ج9 ص688 عن مفتاح النجا للبدخشي (مخطوط) وعن روض الأزهر، تأليف قلندر الهندي الحنفي ص359.

(3) الخطط والآثار للمقريزي ج1 ص388 ومثل ذلك تقريباً في نهاية الأرب للنويري ج1 ص184 - 185 والغدير ج1 ص288.

ومن الواضح: أن هذا الكلام غير صحيح، فقد قال المسعودي، المتوفى قبل هذا التاريخ بعدة سنوات، أي في سنة 346هـ.ق. عن يوم الغدير: «وولد علي «رضي الله عنه» وشيعته يعظمون هذا اليوم»(1).

وقد روى فرات الكوفي، عن النبي «صلى الله عليه وآله» قوله: يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي(2).

واتفق في بعض السنين يوم الجمعة مع يوم الغدير، فخطب علي «عليه السلام» فكان مما قاله: «إن الله جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدين عظيمين كبيرين»(3).

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن عيد غدير خم افضل من عيد الفطر، والأضحى، ويوم الجمعة(4).

وروى الكليني عن الإمام الصادق روايتين اعتبر «عليه السلام» فيهما يوم الغدير عيداً أيضاً، فراجع(5).

---

(1) التنبيه والإشراف ص221 - 222 وعنه في الغدير ج1 ص288 - 289.

(2) الغدير ج1 ص283 عن فرات.

(3) مصباح المتهجد للطوسي ص698.

(4) الغدير ج1 ص285 عن الكافي ج1 ص303 وراجع: مصباح التهجد ص680.

(5) الغدير ج1 ص285 عن الكافي ج1 ص204 ومصباح التهجد ص679 - 680.

وثمة روايات عديدة أخرى ذكرها العلامة الأميني «ره» في كتابه فليراجع (1).

(1) الغدير ج1 ص286 - 287 ومصباح التهجد ص680 - 681.